الإيمان في العهد الجديد[1]

مقال لمجلة شربل رفقا ونعمة الله (مقال لم يُنشر بعد)

مقدّمة

الله محبة (١يوحنا ٤: ١٦). وبما أنّه محبة لا يمكنه أن يبقى سرًّا بالنسبة إلى خلائقه، بل يوحي ذاته لهم، ذلك أنّهم يعجزون إدراك كنهه من تلقاء ذاتهم. إذًا حب الله للإنسان هو الذي يجعله المبادر الأول نحو خليقته. أمّا من جهته، فعندما يتفاعل الانسان إيجابيًا مع المبادرة الإلهية، يضع نفسه على سكّة الإيمان. وبالتالي فالإيمان هو الطاعة لله، هو إعتراف الانسان بألوهيّة الله وسموّه وحريته المطلقة، هو أن يتقبّل الانسان ما يوحي به الله له، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الله الذي يكشف عن ذاته للانسان لا يسلبه حريته، لا بل عكس ذلك فهو يتركها له على أكمل وجه لكي ما يأتي التزامه منفتحًا وناضجًا. علمًا أنّ هذا التفاعل بين الله والانسان لا يلغي السرّ المتأتّي عن الفرق بينهما، بل على الانسان أن يقبله ويسعى في أن يعيشه.

مضمون الإيمان

بدايةً، لا بدّ من التعريف بمعنى لفظة إيمان، فهي تشتقّ من فعل أَمِنَ، الذي يوحي، من جهة، بالأمن والثقة، ومن جهة ثانية بالصلابة والاستقرار. وهكذا، فتلاميذ يسوع هم "الذين آمَنوا به" أي هم "المؤمنون به"[2]، لأنّ الله هو بذاته "أمين"[3]. وعليه، فالمؤمن هو مَن بقي ثابتًا، راسخًا، لا شيء يزعزعه[4]. أمّا مضمون الإيمان في العهد الجديد، فغنيٌ ومتنوّع:

---

[1] بالرغم من أنّ عنوان الموضوع الذي سأعالجه ينحصر في إطار "العهد الجديد" ولكن لا بدّ من التنويه أنّ ما يتعلّق بالايمان بصورة عامة، هو عطيّة يمنّ بها الله لجميع البشر ابنائه، تبعًا للزمان والمكان، ولكن موضوع الايمان في العهد الجديد بلغ أوجه، بحيث سطع ضياء المسيح، كوكب الصبح، في القلوب الظمأى فأنارها ومنحها الحياة.

[2] راجع على سبيل المثال، أعمال الرسل ٢: ٤٤؛ ١ تسالونيكي ١: ٧.

[3] راجع ١كورنتس ١: ٩؛١٠: ١٣؛ عبرانيين١٠: ٢٣؛ ١١: ١١؛ إلخ.

[4] والرسالة إلى العبرانيين تذكر موسى والعبرانيين الذين، بإيمانهم، ثبتوا في وجه فرعون والمصريين (١١: ٢٣-٢٩). عن الثبات في الإيمان، راجع أيضًا كولسي ١: ٢٣؛ ٢: ٥، ٧؛ ٢ تسالونيكي ١: ٤؛ ٢طيموتاوس ٣: ١٤؛ عبرانيين ٤: ١٤؛ ٦: ١٢؛ يعقوب ١: ٣، ٦؛ ١بطرس ٥: ٩؛ رؤيا ١٣: ١٠؛ ١٤: ١٢).

-الإيمان هو هبة من الله، ويسوع نفسه يشهد لذلك بقوله: "أَحمَدُكَ يا أَبَتِ، رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض، على أَنَّكَ أَخفَيتَ هذه الأَشياءَ على الحُكَماءِ والأَذكِياء، وكَشفتَها لِلصِّغار"[٥]، وفي مكان آخر يؤكّد يسوع الفكرة عينها: "طوبى لَكَ يا سِمعانَ بْنَ يونا، فلَيسَ اللَّحمُ والدَّمُ كشَفا لكَ هذا، بل أَبي الَّذي في السَّمَوات" (متى ١٦: ١٧). ميزة الإيمان في العهد الجديد هو كون يسوع المسيح مُبدِئه ومتمِّمه في آنٍ[٦]، وعليه فالإيمان هو الاعتراف بيسوع كربٍّ[٧]، وقبول إنجيله وكلمته[٨]، إذ في المسيح يسوع "استَكَنَّت جَميعُ كُنوزِ الحِكمَةِ والمعرِفَة" (كولسي ٢: ٣)، ولكن في الوقت عينه فالإيمان بيسوع هو الإيمان بالذي أرسله[٩]. وبغير الإيمان يستحيل نيل رضا الله (عبرانيين ١١: ٦).

-بالإيمان ننال روح الربّ الموعود به، فتكون هبة الروح للمؤمن كختم للإيمان[١٠].

-بالإيمان بيسوع المسيح يصبح الانسان مولودًا لله، وعليه يجرؤ على التقرّب من الله مطمئنًا[١١]، وهذا يمكّنه من أن يغلب العالم (١يوحنا ١: ٤-٥).

-في المسيحية، هناك إيمان واحد بابن الله ومعرفته وبهذا الايمان وحده يمكننا أن نصير الانسان الراشد لنبلغ القامة التي توافق كمال المسيح (أفسس ٤: ٥، ١٣).

-الإيمان مِنَ السَّماع، والسَّماعُ يَكونُ سَماعَ كَلامَ المسيح. إذًا كلام الله في الانجيل هو الركيزة لإيماننا المسيحي، فشهادة المرأة السامرية لما قاله لها يسوع أدّت إلى إيمان عدد كثير من السامريين ومن ثمّ آمن به عدد كثير آخر عن كلامه المباشر لهم[١٢].

-في بعض الأحيان، يكون الإيمان نتيجة آية أو معجزة؛ ففي قانا الجليل، وإثر تحويل يسوع الماء إلى خمر، "أَظهَرَ مَجدَه فَآمَنَ بِه تَلاميذُه"[١٣].

-الايمان بيسوع يبرّر من الخطايا ويطهّر القلوب[١٤]. في الآخرة، ستكون الدينونة على الإيمان بإبن الله "مَن آمَنَ بِه لا يُدان ومَن لم يُؤمِنْ بِه فقَد دِينَ مُنذُ الآن لأنّه لم يُؤمِنْ بِاسمِ ابنِ اللهِ الوَحيد" (يوحنا ٣: ١٨؛ ٣٦).

---

[٥] متى ١١: ٢٥؛ راجع أيضًا يوحنا ٦: ٤٤؛ أفسس ٢: ٨؛ فيلبي ٣: ٩؛ إلخ. فالإيمان ليس من نصيب جميع الناس (٢تسالونيكي ٣: ٢).

[٦] راجع الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢. علمًا أنّه لا يمكن لأحد أن يُقبل إلى يسوع إلاّ إذا اجتذبه الآب (يوحنا ٦: ٤٤).

[٧] راجع روما ١٠: ٩؛ ١كورنتس ١٢: ٣؛ ١ يوحنا ٢: ٢٢؛ ٣: ٢٣.

[٨] راجع ١ كورنتس ١٥: ٢؛ روما ١٠: ١٧.

[٩] راجع يوحنا ١٢: ٤٤؛ ١٤: ١، ١٠، ١١، ١٢.

[١٠] راجع غلاطية ٣: ٢، ١٤؛ أفسس ١: ١٣.

[١١] راجع أفسس ٣: ١٢؛ ١يوحنا ٥: ١.

[١٢] راجع يوحنا ٤: ٣٩، ٤١؛ ٨: ٣٠؛ أعمال ٤: ٤؛ ١٣: ٤٨؛ ١٤: ١، ٢٧؛ ١٥: ٧؛ ١٧: ١٢، ٣٤؛ ١٨: ٨، ١٨.

[١٣] يوحنا ٢: ١١؛ راجع أيضًا يوحنا ٢: ٢٣؛ ٤: ٤٨، ٥٣؛ ٦: ٣٠؛ ٧: ٣١؛ ١١: ٤٥؛ ١٢: ١١؛ ٢٠: ٨، ٢٩؛ أعمال ٩: ٤٢؛ ١٣: ١٢.

[١٤] راجع أعمال ١٠: ٤٣؛ ١٣: ٣٩؛ ١٥: ٩؛ ٢٦: ١٨؛ روما ٣: ٢٦، ٢٨، ٣٠؛ ٤: ٣، ٥، ٩؛ غلا ٢: ١٦؛ ٣: ٦، ٨، ١١؛ ٥: ٥؛ فيلبي ٣: ٩.

-الإيمان هو اليقين بالحصول على أمرٍ ما بالرغم من عدم تفسيره حسب الطبيعة. بالإيمان تُقترَح المعجزات الخارقة، ويسوع يكتفي بإيمان قدر حبة خردل لتزويد صاحبه بقوة تنقل الجبال[١٥]، فالمرأة الكنعانية التي طلبت شفاء ابنتها من يسوع، تخطّت حواجز السنن والتقاليد والمفاهيم السائدة آنذاك لتحظى على مبتغاها (متى ١٥: ٢١-٢٨). الإيمان بيسوع يخوّل المؤمن بأن يعمل أعمال مَن يؤمن به بل أعظم منها (يوحنا ١٤: ١٢). فما من شيء يستحيل نواله بوجود الإيمان.

-الإيمان هو الضمانة لنيل الخَلاص"فمَن آمَنَ واعتَمَدَ يَخلُص"[١٦].

-الإيمان لا يستند إلى حكمة الناس بل إلى قدرة الله (١كور ٢: ٥).

-الإيمان يُنقذ من الضيق، كما هي حال جِدعَون وباراق وشِمشون وَيفْتاح وداوُد وصَموئيل والأَنبِياء، هؤلاء الذين تصدّوا للممالك وقهروا الأسود وأخمدوا النار ونجوا من حدّ السيف وردّوا غارات الغرباء (عب ١١: ٣٠-٣٤)، "فكلُّ شيء ممكن للذي يؤمن"[١٧]. مَن آمن بيسوع المسيح لا يخزى[١٨]، لأنّ الإيمان هو درع للذي يتمنطق به (١تسالونيكي ٥: ٨).

-الإيمان هو الصبر حتى تنقضي المحنة كتحمّل توتير الأعضاء ومعاناة السخرية والجَلد والقيود والسجن والرجم والنشر والحرمان والمضايقة والظلم والتشريد، إنّه ضروري لتحقيق الموعد[١٩].

-الإيمان خشبة خلاص "إيمانك خلّصك"، كلمات قالها يسوع لإنقاذ أناس كانوا على شفير الموت المعنوي أو الجسدي[٢٠].

-الإيمان مصدر بهجة (أعمال ١٦: ٣٤) وسلام (روما ٥: ١).

-الإيمان يفترض الأمانة: الله يأبى أن يتقاسم المؤمن الإيمان به مع أيٍّ كان، هو يفترض ترك الأوثان على أنواعها -وما أكثرها- بغية العمل له، هو الإله الحقّ والحَيّ (١تسالونيكي ١: ٩).

-الايمان ليس انجذاب نحو الخيرات الآتية (عبرانيين ١١: ١) بل هو التنعّم منذ الآن بالحقيقة المرجوّة، هو يشدّ المستقبل نحو الحاضر، ففي عبرانيين ١٠: ٣٤ برتبط الإيمان بالرجاء بصورة محكمة، بحيث يتوجّه الكاتب إلى المؤمنين الذين عانوا الكثير من الاضطهاد بقوله: "فقَد شارَكْتُمُ السُّجَناءَ في آلامِهم وتقبَّلْتُم فَرِحينَ أَن تُنهَبَ أَموالُكُم، عالِمينَ

---

[١٥] راجع متى ١٧: ٢٠؛ ٢١: ٢١-٢٢؛ لوقا ١٧: ٥.

[١٦] راجع مرقس ١٦: ١٦؛ وأيضًا روما ١٠: ٩؛ أعمال ١٦: ٣١ ١كور ١٥: ٢؛ أفسس ٢: ٨؛ ٢طيموتاوس ٣: ١٥؛ ١بطرس ١: ٥، ٩.

[١٧] مرقس ٩: ٢٣؛ راجع أيضًا ١تسالونيكي ٣: ٧.

[١٨] راجع متى ٨: ٢٦؛ روما ١٠: ١١؛ ١بطرس ٢: ٦.

[١٩] راجع عبرانيين ١٠: ٣٦؛ ١١: ٣٥-٣٨؛ ١بطرس ١: ٧.

[٢٠] مرقس ٥: ٣٤؛ ١٠: ٥٢؛ لوقا ٨: ٥٠؛ ١٧: ١٩.

أَنَّ لَكم ثَرْوَةً أَفْضلَ لا تَزول"، لقد جاذفوا بركن من حياتهم لأنهم وجدوا قاعدة أثبت وأمتن، قاعدة تدوم ولا أحد يمكن أن ينتزعها منهم.

-الايمان هو حركة، إنّه كناية عن "توجّه نحو"، فالرجال الأربعة حملوا المقعد ونبشوا السقف حيث يوجد يسوع ودلّوه منه[٢١]، وهذا "التحرّك نحو" ممكن أن يكون بداية الطريق نحو الالتزام و"المكوث مع".

-بالإيمان بيسوع، لا يكتفي المؤمن بأن يرتوي من نبع الماء الحيّ "إِن عَطِشَ أَحَدٌ فليُقبِلْ إِلَيَّ"[٢٢]، بل يتحوّل بدوره إلى معين ماء "تَجْري مِن جَوفِه أَنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ" (يوحنا ٧: ٣٨).

-الإيمان هو الدخول من الباب الضيّق، إنّه يفترض شجاعة المرأة المنزوفة التي لم تأبه لتعييرات الناس بل أخذت المبادرة ولمست يسوع لتسرق منه قبس شفاء[٢٣]. وبهذا الصدد يسأل يسوع "متى جاءَ ابنُ الإِنسان، أَفَتُراه يَجِدُ الإِيمانَ على الأَرض؟" (لوقا ١٨: ٨).

-الإيمان هو مصدر الحياة في هذه الدنيا وفي الأبدية، فالبار "بالإيمان يحيا"[٢٤]. وبالمقابل فعدم الإيمان بيسوع يؤدّي حتمًا إلى الموت في الخطايا (يوحنا ٨: ٢٤).

-الإيمان يعبّر بالصلاة "كُلُّ شَيءٍ تَطلُبونَه في الصَّلاة، آمِنوا بِأَنَّكم قد نِلتُموه، يَكُنْ لَكم"[٢٥].

-الإيمان كرامة للمؤمنين في حين أنّه صخرة عثار وصدم لغير المؤمنين (١ بطرس ٢: ٦-٧).

-الإيمان مصدر إعجاب: فيصبح المؤمنون أبطالاً للآخرين ويتلقّون شهادة حسنة بفضل إيمانهم[٢٦].

-الإيمان هو بناء البيت على الصخر، ولهذا فقد دعا يسوع بطرس بالصخرة[٢٧].

-الإيمان يعطي الانسان نعمة أن يكون من أبناء النور ولن يبقى بعدها في الظلام[٢٨].

-الايمان ترس لإخماد جميع سهام الشرير المشتعلة (أفسس ٦: ١٦).

---

[٢١] راجع مرقس ٢: ٢-٥ ؛ لوقا ٥: ٢٠.

[٢٢] يوحنا ٦: ٣٥؛ ٧: ٣٧.

[٢٣] راجع متى ٧: ١٣؛ مرقس ٥: ٣٤؛ لوقا ٨: ٤٨.

[٢٤] راجع يوحنا ٣: ١٥-١٦؛ ٥: ٢٤ ؛ ٦: ٤٠، ٤٧، ٦٨؛ ١١: ٢٥، ٢٦ ؛ ٢٠: ٣١؛ روما ١: ١٧؛ غلاطية ٢: ٢٠؛ عبرانيين ١٠: ٣٨؛ ١يوحنا ٥: ١٣.

[٢٥] مرقس ١١: ٢٤؛ راجع أيضًا يعقوب ٥: ١٥.

[٢٦] راجع عبرانيين ١١: ٣٤، ٣٩.

[٢٧] متى ١٦: ١٨؛ راجع أيضًا متى ٧: ٢٤.

[٢٨] راجع يوحنا ١٢: ٣٦، ٤٦.

-الإيمان هو إلتزام: هو لا يعني التديّن، أي البقاء على مستوى المشاعر والعبادات والممارسات الخارجية دون النفاذ إلى الحياة اليومية الخاصة والعامة. وعليه، فالإيمان بلا أعمال ميت، "ماذا يَنفعُ (...) أَن يَقولَ أَحَدٌ إِنَّه يُؤمِن إِن لم يَعمَل؟ أَيُوسْعِ الإِيمانِ أَن يُخَلِّصَه؟"[٢٩] الإيمان يتطلّب المجاهدة[٣٠].

-على المؤمن أن يتنبّه إلى أنّ حبّ المال قد يؤدّي إلى الضلال عن الإيمان (١طيموتاوس ٦: ١٠). ولذا عليه السهر لكي يكون صحيح الإيمان (طيطس ١: ١٣؛ ٢: ٢).

امثلة إيمانية حيّة في العهد الجديد

يبقى يسوع المسيح المثال الأعلى للمؤمن في ما يخص ثقته المطلقة بالله، "هو الَّذي في أَيَّامِ حَياتِه البَشَرِيَّة رفعَ الدُّعاءَ والاِبتِهالَ بِصُراخٍ شَديدٍ ودُموعٍ ذَوارِف إلى الَّذي بِوُسعِه أَن يُخَلِّصَه مِنَ الموت، فاستُجيبَ لِتَقْواه" (عبرانيين ٥: ٧). هو الذي أتمّ إرادة الآب بملئها، هو الذي بدأ رسالته عند دخوله العالم "هاءَنَذا آتٍ، أَللَّهُمَّ لأَعمَلَ بمَشيئَتِكَ" (عبرانيين ١٠: ٧) ومن ثمّ أكملها بقوله "يَجِبُ علَينا، ما دامَ النَّهار، أَن نَعمَلَ أَعمالَ الَّذي أَرسَلَني" (يوحنا ٩: ٤)، وقد بلغت أوجها على صليب العار والموت والذي، بطاعة المسيح التامة فيه لأبيه، حوّله إلى صليب المجد والقيامة.

وبعده نذكر إيمان العذراء مريم الذي بدوره لا يخلو من المثالية ليُحتذى به؛ فبفضل إيمانها الكبير نالت حظوة عند الربّ، والطوبى من البشر (لوقا ١: ٢٨، ٤٥). هي التي آمنت بالوعد الذي أعطي لها من الله بواسطة الملاك جبرائيل، وأجابت على دعوة الله لها: "أَنا أَمَةُ الرَّبّ فَلِيَكُنْ لي بِحَسَبِ قَوْلِكَ" (لوقا ١: ٣٨) وعملت بقولها طيلة حياتها إذ قدّمت ذاتها ضحية على مذبح الربّ.

أمّا تلاميذ يسوع فنذكر منهم بولس الرسول الذي كان يعدّ نفسه كالسقط بالنسبة إلى سائر الرسل (١ كورنتس ١٥: ٨)، هو الذي ما إن لمس نور المسيح قلبه حتى عَدَّ كلّ شيء خسرانًا من أجل المسيح (فيلبي ٣: ٧)، وأصبح لديه كلّ شيء نفاية ليربح المسيح (فيلبي ٣: ٨)، ومِن ذاك الحين لم يَعْصِ الرُّؤيا السَّماوِيَّة (أعمال ٢٦: ١٩).

خاتمة

---

[٢٩] يعقوب ٢: ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٦.

[٣٠] راجع ١طيموتاوس ٦: ١٢؛ يهوذا ١: ٣.

في الكتاب المقدّس لا تقوم العلاقة بين المؤمن والرب على أساس الدين الذي يشدّد على المحافظة على الطقوس وتطبيق الوصايا واحترام التقاليد بدقّة بل على الطابع الفريد للموقف الإيماني؛ فالمؤمن ليس مَن يؤمن أنّ الله موجود، بل مَن يؤمن بالله وبتدخّله في حياته اليومية، وهو، من جهته، يبادله العيش والإلتزام الحياتي.

وعندما يصبح فريسة الخوف، ويتحكّم به القلق نتيجة تزعزع إيمانه، يبادر إليه المسيح بسؤاله الذي طرحه في أحد الأيام على التلاميذ: "ما لَكم خائفينَ هذا الخَوف؟ أَإلى الآنَ لا إِيمانَ لَكم؟"[٣١] وبما أنّه عارف بضعف الانسان، يصلّي من أجل تثبيث إيمانه كما سبق وقال لسمعان بطرس: "ولكِنِّي دَعَوتُ لَكَ أَلاَّ تَفقِدَ إِيمانَكَ"(لوقا ٢٢: ٣٢).

من جهته ، فالمؤمن الذي يعيش ما بعد صعود يسوع إلى السماء، والذي يستحيل عليه التوجّه إليه كما لو كان يراه بالجسد، ستتحوّل طريقة تعبيره عن إيمانه إلى استسلام بين يديّ يسوع؛ فيفتح له باب قلبه ليدخل إليه ويسكن فيه. المفارقة هو أنّ يسوع لا يريد البتّة أن يفرض ذاته عليه بل يودّ علاقة حية به.

[٣١] مرقس ٤: ٤٠؛ راجع أيضًا متى ١٤: ٣١.